جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث
العلمي
جامعة الانبار

كليه العلوم الاسلامية
قسم العقيدة والدعوة والفكر

الإمام القشيري (زين الإسلام ت ٤٦٥ هـ)

دراسة إشكالية الالهيات

ما بين التصوف والفلسفة وعلم الكلام

بحث مقدم

من قبل الدكتور

محمد طارق حمودي نجم الجبوري
قسم العقيدة والدعوة والفكر
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الانبار

لملخ

الحمد لله الذي خلق الانسان على البيان ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، علم الانسان ما لم يعلم ، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله

تحدثت في المبحث الأول منها عن الامام القشيري ، سيرته ونشأته ، تعلمه وعلميته وشيوخه وتلامذته ، ثم عرضت أقوال وأراء بعض العلماء ممن عاصره أو جاء بعده الذين عدَّوه عالماً موسوعياً ، متكلماً ، صوفياً ، فلسفياً ، جمع بين الحقيقة والشريعة ، ثم بينت دوره في التصوف وما خطه لأصحابه ولمن يأتي بعده من منهج ، لا يعدو حدود الشريعة الإسلامية وعقيدتها في التوحيد ، وحمى التصوف من الأفكار الوافدة والعقائد المنحرفة الفاسدة ، من باطنية ، ووثنية وغيرها .

واذا كانت الفلسفة حلة ، فيها مباحث في التعليل والتحليل ، والادراك والاستنباط ، فقد كان فيلسوفاً أو حكيماً ، فاق الحكماء ، في حسن النظر ، وتقويم الالفاظ ، وتوظيف المصطلحات في دائرة الشرعية الإسلامية ، لقد وضع التصوف في دائرة الزهد ، وسما به الى دائرة العمل الجاد المثمر الذي وضع التوحيد هدفاً اساسياً ومنطلقاً رئيساً للعمل الصوفي الإسلامي ، فلا اتحاد ولا حلول ، ولا تشبيه ولا تعطيل ، إنما هي عقيدة : لا إله إلا الله ، بمعنى لا معبود بحق إلا الله .

Abstract

Praise be to Allaah Who created man on the statement, and bear witness that there is no god but Allah, the science of man unless he knows, and I bear witness that Muhammad ρ Abdu and His Messenger

I spoke in the first part about Imam Qusheiri, his biography and his development, his learning, his science, his elders and his students. Then he presented the opinions and opinions of some scholars who came to him or came after him, who counted him as a scholarly scholar. He spoke philosophically and philosophically. His plan for his companions and those who come after him from the curriculum, do not exceed the limits of Islamic law and its doctrine in Tawhid, and the fever of mysticism of imported ideas and deviant deviant beliefs, from the mystical, pagan and others. If the philosophy is a suit, in which the study of reasoning and analysis, and awareness and reasoning, was a philosopher or wise, exceeded the wise, in good consideration, and the evaluation of words, and the use of terminology in the circle of Islamic legitimacy, has placed Sufism in the circle of asceticism, The fruit of Tawheed is a fundamental goal and a main starting point for the Islamic mystical work. There is no union or solutions, no analogy or disobeying. It is a doctrine: There is no god but Allah, meaning no god but Allah.

مقدمة ...

الحمد لله الذي خلق الانسان على البيان ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، علم الانسان ما لم يعلم ، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله ، حقق في الأمة الانسجام ووضع الإسلام موضع التطبيق العملي في حياة الفرد ، والأسرة والمجتمع ليسموا بعد عالم الأشخاص على عالم الأشياء ، ولن يتم هذا السمو ويتكامل إلا بالتخلي عن كل خلق رديء والتحلي بكل خلق سني ، وعند ذلك يمكن أن نعده " قرآنا يمشي على الأرض " قبل أن يطير في الهواء أو يمشي على الماء ... وعند ذلك تتحقق مشيئته جل وعلا في استخلاف هذا الكائن الحضاري الذي يمكن أن يجمع بين كون الله المقروء ، وكون المنظور ، فينتقل من الفكر والتدبر الى سبر الاغوار ومعرفة للاحول ، التي تُعدّ مراحل متقدمة ، في معرفته الواحد القهار . فاذا عرف الصانع ، فرح بالمصنوع ، ورضي به ، فإن شكر ظفر ، فحاز الزيادة والرضى وحقق الطمأنينة .

وبعد ...

تتكون دراستي من مبحثين .

تحدثت في المبحث الأول منها عن الامام القشيري ، سيرته ونشأته ، تعلمه وعلميته وشيوخه وتلامذته ، ثم عرضت أقوال وأراء بعض العلماء ممن عاصره أو جاء بعده الذين عدَّوه عالماً موسوعياً ، متكلماً ، صوفياً ، فلسفياً ، جمع بين الحقيقة والشريعة ، ثم بينت دوره في التصوف وما خطه لأصحابه ولمن يأتي بعده من منهج ، لا يعدو حدود الشريعة الإسلامية وعقيدتها في التوحيد ، وحمى التصوف من الأفكار الوافدة والعقائد المنحرفة الفاسدة ، من باطنية ، ووثنية وغيرها .

واذا كانت الفلسفة حلة ، فيها مباحث في التعليل والتحليل ، والادراك والاستنباط ، فقد كان فيلسوفاً أو حكيماً ، فاق الحكماء ، في حسن النظر ، وتقويم الالفاظ ، وتوظيف المصطلحات في دائرة الشرعية الإسلامية ، لقد وضع التصوف في دائرة الزهد ، وسما به الى دائرة العمل الجاد المثمر الذي وضع التوحيد هدفاً اساسياً ومنطلقاً رئيساً للعمل الصوفي الإسلامي ، فلا اتحاد ولا حلول ، ولا تشبيه ولا تعطيل ، إنما هي عقيدة : لا إله إلا الله ، بمعنى لا معبود بحق إلا الله .

أما ما عدا ذلك مما تعرض له الباحثون مما يعدُّ في ميدان الفلسفة ، بصورة عامة ، فالخوض فيه لا يعدو نوعاً من الترف العقلي ، إن لم يكن نوعاً من العبث الذي لا طائل وراءه

وخصصت المبحث الثاني للحديث عن موقف القشيري من التصوف والفلسفة علم الكلام ، وخلصت الى القول بأنه رأى أن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، لأنه اقتنع أن المنبتَّ لا ارضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، ولهذا استطاع أن يوظف علم الكلام لخدمة التصوف ، ووظفهما في وضع الإسلام موضع التطبيق العملي .

ثم نأى بنفسه عما صار اليه بعض أنصاف المتصوفة أو أنصاف المتعلمين ، فكأنه سمع الشاكر وهو يهتف :

قد هيؤوك لأمرٍ لو فطنتَ لهُ فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهملِ

والحمد لله رب العالمين

المبحث الأول

اسمه - نسبه - ولادته - بيئته

سمه :

هو زين الإسلام [١] أبو القاسم ، عبدالكريم بن هوزان بن عبدالملك بن طلحة بن محمد القشيري [٢] ، النيسابوري [٣] .

لا ته :

ولد في شهر ربيع الأول عام (٣٧٥ هـ) [٤] في قرية استُوا ، من نواحي نيسابور العاصمة القديمة لخراسان .

والده : هوزان بن عبدالملك بن طلحة القشيري ، النيسابوري ، توفي وهو صغير ، ولم أجد من ذكر تاريخ وفاته .

والدته : من بني سليم ، ومن هنا قيل عنه : هو قشيري في الأب سُلَمّي الأم[٥] تعهدته أمه بالرعاية والتعليم ، وحرصت على أن يبدأ طريقه بحفظ القرآن وتعلم القراءات ، وتلقي علوم اللغة العربية والشريعة الإسلامية .

رحل الى نيسابور فأخذ عن علمائها التفسير والكلام والمنطق والفقه ، وتعلم الحساب للاستعانة به على استيفاء الخراج من أرض ورثها عن والده بنواحي استُوا ، وقد أرهقته الإدارة آنذاك بالضرائب المفروضة زيادةً على الخراج ، ولم أجد ما يعين على تحديد زمن رحلته الى خارج قريته ، ولا العمر الذي خرج به لطلب العلم .

خلّف القشيري سبعة أولاد ، عُرفوا بالعلم والعبادة ، ويُعدّ ابنه الرابع ، أبو النصر عبدالرحيم (ت ٥١٤ هـ) أشهرهم ، وهو الذي درّس في المدرسة النظامية ، بعد أن كان

---

(١) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، أبو بكر ، أحمد بن علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د . ت) : ٨٣/١١ ؛ الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، عز الدين علي بن ابي بكر ، أبو الحسن ، محمد بن محمد الشيباني ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥-١٩٦٦ : ٨٨/١٠ .

(٢) القشيري ، نسبة الى (قشير بن كعب) من بطون العرب اليمينية ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٣٢ هـ-١٩٦١ م : ٢٨٠/٨ ؛ طبقات الشافعية ، السبكي ، تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي ، تحقيق : محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، دار احياء الكتب العربية ن القاهرة ، ١٤١٣ هـ : ٢٤٣/٣ .

(٣) دمية القصر وعصرة أهل العصر ، علي بن الحسن بن علي بن أبي الضيف ، الباخرزي ، (ت ٤٦٧ هـ) ، الناشر : دار الجليل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤ هـ-٢٠١٠ م : ص١٩٤ ؛ طبقات المفسرين ، السيوطي ، عبدالرحمن بن ابي بكر ، تحقيق : مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٦ هـ : ص٣١ .

(٤) طبقات الشافعية ، السبكي : ٢٤٣/٣ ؛ طبقات الفقهاء الشافعية ، ابن الصلاح ، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن ابن الصلاح ، تحقيق : محيي الدين على نجيب ، دار العشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٩٩٢ م : ٥٦٩/٢.

(٥) طبقات المفسرين ـ أحمد بن محمد الادفروي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ١٩٩٧ م : ١٢٥/١ ؛ الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى ، ابن باكولا ، هبة الله بن ابي نصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١ هـ : ٤٣٩/١ ؛ الاعلام ، الزركلي ، خير الدين ، دار العلم للملايين ، ط١٠ ، بيروت ، ١٤١٣هـ : ٢٢٧/٦ .

تلميذاً للإمام الجويني ، وقد عزله الوزير نظام الملك ، لوضع حدٍ لفتنة نشبت بين تلامذته ومؤيديه المؤيدين للاشاعرة ، وبين الحنابلة في تلك المدة [١] .

وهناك إشارة الى أنه قد عهد بأمر تربيته بعد وفاة أبيه الى أبي القاسم الأليماني الذي كان صديقاً لأسرة القشيري ، فقرأ عليه الأدب والعربية قبل انتقاله الى نيسابور[٢] .

بيئته :

عدّ العصر العباسي الأول عصر الترجمة والنقل ، وكان العصر العباسي الثاني عصر تمثيل الثقافات الأجنبية المترجمة ، اليونانية والفارسية والهندية ، أما هذا العصر الذي عاش منه القشيري فكان عصر التفتح والابتكار في سائر العلوم العقلية والنقلية [٣] .

لقد عاش القشيري في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وقد أصبح للعلوم الإسلامية ، الفقه والتفسير والحديث والكلام ، أسساً علمية ، وقواعد منهجية واضحة من حيث الوسيلة ومن حيث الغاية [٤] .

ويبدوا أن هذه العوامل مجتمعة هي التي شكلت شخصية القشيري ، من حيث شيوخه الذين تأثر بهم ، وأصدقائه كالجويني والسلمي ، والبيئة الفكرية الخصبة التي عاصرها وكان تأثره بمؤلفات الباقلاني واضحة ، وهمته موصولة بحلقات ابن فورك ، والاسفراييني وغيرهم[٥].

كل هذه العوامل تضافرت جنباً الى جنب في تكافل مذهب القشيري الذي جمع فيه بين البعدين الصوفي والكلامي مع البعد الفقهي في فكره ، وقد جمع بين الرؤية الكلامية والرؤية الصوفية وكانت غايته الانتصار لمذهب أهل السنة في ميدان التصوف والفلسفة وعلم الكلام[٦].

إن الإمام القشيري كان له باع طويل في قضايا علم الكلام ، وهو يجمع في عقليته بين البعد النقدي والبعد البنائي ، ولعل هذا يدل على أصالة الفكر الكلامي عنده وهو القائل : لا يحجر علم الكلام إلا أحد رجلين ، مما جعل ركن الى التقليد وصاحب هوى خلا عن طريق

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي ، أبو المحاسن جمال الدين (ت ٨٧٤ هـ) ، المؤسسة المصرية للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ-١٩٦٣ م : ٩١/٦ ؛ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ابن العماد ، أبو الفلاح الحنبلي عبد الحي بن أحمد بن محمد ، المكتب التجاري ، بيروت ، (د . ت) : ٣١٩/٣ .

(٢) مجلة تراث الإنسانية ، أبو العلا عفيفي ، المجلد الأول ، العدد السادس ، سنة النشر ٢٠١٦ م : ص٤٥٩ .

(٣) الامام القشيري ، سيرته وأثاره ، ومذهبه في التصوف ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٢ م . إبراهيم بيسوني الدسوقي : ص١٠ .

(٤) م . ن : ص١٧ .

(٥) م . ن : ص١٤٣ .

(٦) مجلة تراث الإنسانية ، أبو علاء عفيفي : ص٤٦١ .

أهل النظر، والناس أعداء ما جهلوا [1] ، وهو في هذا يتفق مع المدارس الكلامية الكبرى كالمعتزلة ، والاشاعرة التي ينتمي اليها ، وكذلك الماتريدية [2] .

رحلته في طلب العلم :

رحل الى نيسابور ، ومنها أخذ معارفه الأولى في التصوف ، والأدب ، والفقه واللغة وأصول الفقه وعلم الكلام ، وعلم الحديث ، تم شدَّ الرحال بعد ذلك لأداء فريضة الحج وكان يرافقه في رحلته هذه : أبو محمد الجويني ، والإمام البيهقي ، وأخرون ، من المشاهير وكانت محطتهم الأولى بغداد وفيها سمع :

١. أبو الحسين بن بشران ، وأخذ عنه الحديث النبوي الشريف .
٢. وسمع من ابي الحسين بن الفضل

وكان قد سمع بالكوفة :

٣. أبو محمد جناح بن نذير .
٤. وسمع بمكة ابن نظيف ، وآخرون [3]

شيوخه :

١. أبو الحسين أحمد بن محمد الخفاف
٢. أبو الحسين بن بشران
٣. أبو الحسين بن الفضل
٤. السيد أبو الحسن العلوي
٥. أبو الحسين أحمد بن محمد بن احمد ، بن عمر الزاهد
٦. أبو الحسن علي بن الحافظ أحمد بن عيدان بن محمد الفرج الاهوازي .
٧. محمد بن عبدالله بن عبيدالله بن أحمد الشيرازي ، أبو عبدالله بن باكويه
٨. أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي
٩. أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك
١٠. أبو بكر محمد بن أبي بكر الطوسي
١١. أبو محمد جناح بن نذير
١٢. أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن البيع الحاكم
١٣. أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي
١٤. عبدالرحمن بن إبراهيم المزكي
١٥. أبو إسحاق الاسفراييني .

---

(١) شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة ، القشيري ، أبي القاسم ، عبدالكريم بن هوازن (ت ٤٦٥ هـ) ، تحقيق : محمد خالد ، محمد يوسف ادريس ، دار النورين ، ٢٠١٢ م : ص٤٧ .

(٢) المنهج الوسط عن الماتريدية ، دراسة فلسفية مقارنة ، جمال رجب ، مجلة الأدب والعلوم الإنسانية ، أداب المنيا ، مصر ، المجلد السابع والعشرون ، يناير ١٩٩٨ : ص٢٩٩-٣٠٠ .

(٣) وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس احمد بن محمد بن خلكان ، تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٦م : ٢٠٥/٣ ؛ الاعلام ، الزركلي : ٢٢٧/٦.

١٦. أبو القاسم بن حبيبه [١] .

تلامذته [٢] :

وتتلمذ على يديه ثلة من التلاميذ الذين فاقوا أقرانهم في الحفظ والمواظبة فاجازهم برواية ما صنف ، أو كتب وألف ، منهم :

١. زاهر بن طاهر بن احمد بن محمد بن احمد الشحامي النيسابوري
٢. وجيه بن طاهر بن احمد بن محمد بن احمد الشحامي النيسابوري
٣. الحسن بن علي بن اسحق بن العباس ، أبو علي الطوسي ، المعروف باسم خواجا بزرك الوزير العادل المعروف باسم (نظام الملك) .
٤. أبو عبدالله محمد بن الفضل بن احمد بن محمد بن أبي العباس الصاعدي الفراوي النيسابوري الشافعي .
٥. أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي .
٦. ابن عبدالله النيسابوري الشاذيافي الخرزي .
٧. أبو سعد إسماعيل بن صالح
٨. أبو المظفر بن القشيري
٩. أبو عبدالله الحسين بن محمد بن الفرحان السمناني

مصنفاته :

ذكر من ترجم له أنه صنف كتباً عديدةً ورسائل ، وهناك إشارات الى أن بعضها لا يزال مفقوداً ، وقد طبع الكثير منها ، ولا يزال بعضها مخطوطاً ، ومما ذكر :

١. آداب الصوفية
٢. أحكام السماع
٣. الأربعون في الحديث

---

(١) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ،: ٢٢٧/١٨-٢٢٩ ؛ لسان الميزان ، ابن حجر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار المعارف العثمانية ، الهند ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٨٦ م : ٢٠/٥ ؛ المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، تحقيق : خالد حيدر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤ هـ : ٣٦٥/١ .

(٢) سير اعلام النبلاء ، الذهبي : ٢٢٧/١٨ ؛ طبقات الصوفية ، السلمي ، أبو عبدالرحمن ، تحقيق : نور الدين شريعة ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ-١٩٥٣ م : ٦/١ ، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، البغدادي ، أبو بكر ، محمد بن عبدالغني ، (ت ٦٢٩ هـ) ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م : ٣٦٦/١ ؛ نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج ، احمد بابا بن أحمد بن الفقيه ، بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي ، تحقيق : عبدالحميد عبدالله الهدامة ، دار الكاتب ، طربلس ، ليبيا ، سنة النشر : ٢٠٠٠ ، ط٢ ، ص٥٩ ؛ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، أبو محمد عفيف الدين عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت ٧٦٨ هـ) ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م : ٩١/٣ ؛ غاية المرام في علم الكلام ، الآمدي ، تحقيق : حسن محمود عبداللطيف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧١ م : ص٦٥-٦٦ .

٤. التحبير في التذكير ، وهو شرح لاسماء الله الحسنى[١] .
٥. التيسير في علم التفسير [٢] .
٦. التفسير الكبير [٣]
٧. بلغة المقاصد
٨. الحقائق والرقائق [٤]
٩. ديوان شعر
١٠. رسالة ترتيب السلوك [٥]
١١. الرسالة القشيرية في التصوف ، ألفها سنة (٤٣٤ هـ)
١٢. شكاية أحكام السماع.
١٣. شكاية أهل السنة
١٤. عيون الأجوبة في أصول الأسئلة
١٥. القصيدة الصوفية
١٦. القلوب الصغيرة
١٧. القلوب الكبيرة
١٨. كتاب الجواهر
١٩. كتاب المناجاة
٢٠. كتاب نحو القلوب ، الذي سمي فقه القلوب [٦]
٢١. لطائف الإشارات ، وهو تفسير القرآن المرين ، تفسير اشاري ، انتهى من كتابته سنة (٤٣٤ ه) [٧] .
٢٢. منثور الخطاب في مشهور الأبواب ، وهو مخطوط في الخزانة الملكية بالرباط.
٢٣. المنشور في الكلام على أبواب التصوف ، وهو مخطوط في الخزانة الملكية بالرباط.
٢٤. ناسخ الحديث ومنسوخه .

علميته لعلما فيه :

---

(١) طبع في دار الكاتب العربي سنة (١٩٦٨ م) ، تحقيق : د. إبراهيم البسيوني .
(٢) ألف سنة (٤١٠ هـ) ، ويبدو فيه الاهتمام بالجانب اللغوي ، وأسباب النزول والتفسير بالحديث النبوي ، وهناك إشارة الى أن هذا التفسير من تأليف القشيري الابن ، أبو النصر عبدالرحيم (ت ٥٤١ هـ) ، ينظر : بوورينج ، ١١٤-١١٣ . The Liqht Verse – pp .
(٣) وتوجد من مخطوطاته ، احدهما في ليدن ورقمها ١٦٥٩ ، والثانية في جامعة اسطنبول ، تحت رقم : ٣٢٢٨ ، ينظر : مركز أبي الحسن الاشعري للدراسات والبحوث العقدية ، ١٠ جمادي الاخرة ١٤٣٩ هـ - ٢٧ فبراير ٢٠١٨ .
(٤) مخطوط مكتبة جستر بيتي ، دبلن ، رقم المخطوط : ٣٠٢٥
(٥) ظهرت مترجمة بالالمانية سنة ١٩٦٢ م ، بقلم : فرترماير بمجلة orens ، وتوجد مخطوطة بالخزائن الملكية بالرباط
(٦) طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي : ٢٩٢/٧ .
(٧) طبقات المفسرين ، للسيوطي ، : ص٣١ .

الإمام القشيري ، عالم سبر غور الحقيقة في اللغة والبلاغة ، فاللفظة في مكانها وسياقها البلاغي هدف أصيل عنده .

ويعد الإمام القشيري صاحب منهج إصلاحي وفكر معتدل يدعو الى ضرورة الملازمة بين علوم الشريعة والتصوف ، أثنى عليه من عاصره ومن جاء بعده ، ومنهم:

- قال خطيب البغدادي : كان ثقة ، وكان حسن المواعظ ، مليح الإشارة يعرف الأصول على مذهب الامام الاشعري ، والفروع على مذهب الشافعي [١] .
- قال ابن الصلاح : كان إماماً ، فقيهاً وكان متقناً العلوم [٢] .
- وقال ابن خلكان : كان علامة بالفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف ، جمع بين الشريعة والحقيقة [٣] .
- وقال أبو سعد السمعاني : كل من أتى بعده بنكتة أو أعجوبة في علم التصوف فهو مسروق من كلامه ، ويوجد متفرقاً في أطراف كلامه [٤] .
- وعدّه الامام الذهبي : الإمام الزاهد القدوة ، الأستاذ ، وكان عديم النظير في السلوك والتفكير ، لطيف العبارة ، طيب الاخلاق غواصاً على المعاني [٥] .
- وقال الشيخ علي بن الحسين : القشيري جامع انواع المحاسن ، تنقاد له صحابها ، ذلل المراسن فلو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب ، ولو ارتبط إبليس في مجلس تذكيره لناب ، وله فصل الخطاب في فضل المنطق المستطاب ، ماهر في التكلم على مذهب الاشعري ، كلماته كلها للمستفيدين فوائد وفرائد ، وعتبات منبره للعارفين وسائد ، إذا عقد بين مشايخ الصوفية حبوته ورأوا قربته من الحق وخطوته تضاءلوا بين يديه وتلاشوا بالإضافة اليه ، وطواهم بساط في حواشيه، وانقسموا بين النظر اليه والتفكير فيه [٦] .
- وعده ابن ماكولا : من كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر ، أبو القاسم القشيري زين الإسلام [٧] .
- وقال أبو اسحق الصيرفيني : الإمام مطلقاً ، الفقيه المتكلم الاصولي المفسر الأديب النحوي الشاعر الكاتب ، لسان عصره وسيد وسر الله بين خلقه شيخ المشايخ واستاذ الجماعة ومقدم الطائفة ومقصود سالكي الطريقة وبندار الحقيقة وعين السادة

---

(١) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، أبو بكر ، أحمد بن علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د . ت) : ٨٣/١١ ؛ طبقات الفقهاء الشافعية ، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن ن ابن الصلاح ، تحقيق : محيي الدين على نجيب ، دار العشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٩٩٢ م : ٥٦٩/٥ .

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية ، لابن الصلاح : ٥٦٢/٢ .

(٣) وفيات الاعيان ، لابن خلكان : ٢٠٥/٣ .

(٤) طبقات الفقهاء الشافعية ، لابن الصلاح : ٥٦٥/٢ ؛ طبقات المفسرين ، للسيوطي : ٦١/١

(٥) سير اعلام النبلاء ، للذهبي : ٢٢٧/١٨ ، ٢٢٩ .

(٦) دمية القصر ، للباخرزي : ٩٩٣/٢-٩٩٨ .

(٧) الاكمال ، لابن ماكولا : ٤٣٩/١ .

وقطب السيادة وحقيقة الملاحة ، لم ير مثل نفسه ، ولا أرى إلا مثله من كماله وبراعته ، جمع بين علمي الشريعة والحقيقة [١] .

- قال السبكي : هو الامام مطلقا ، وصاحب الرسالة التي سارت مغرباً ومشرقاً ، والبسالة التي أصبح بها نجم سعادته مشرقاً والأصالة التي تجاوز بها فوق الفرقدين ورقاً ، أحد الائمة علماً وعملاً ، وأحد اركان المسلة فعلاً وقولاً ، إمام الائمة ، ومجلي ظلمات الضلال المدلهمة أحد يقتدى به في السنة ، ويتوضح بكلامه طرق النار وطرق الجنة ، شيخ المشايخ واستاذ الجماعة ومقدمها الجامع بين اشتات العلوم [٢] .

برع القشيري في الفقه والأصول وكان من ذوي التحقيق في علم الكلام ، متفنناً باللغة والنحو ، أديباً كاتباً شاعراً ، شجاعاً بطلاً ، له في الفروسية واستعمال السلاح الأثار الجميلة ، وعرف بذكائه وورعه ، وصلاحه ، وسعة طلاعه وكرمه ، حتى صار يشار اليه بالبنان ، صحب الإمام الجويني ، إمام الحرمين ، وحج معه الامام البيهقي ، أثنى عليه العلماء واشادوا بخلقه وزهده وعلمه ، تصدر حلقات التصوف بعد وفاة شيخه الدقاق واصبح بعده أستاذ خراسان بلا منازع ، وبلغت شهرته الافاق[٣] .

عقيدته :

كان القشيري أشعري العقيدة [٤] ، وهذا الاعتقاد موافق لأصول السلف وأهل السنة والجماعة[٥] ، وشافعياً من حيث المذهب الفقهي [٦] .

وفاته :

كانت وفاته يوم الأحد السادس عشر من شهر ربيع الأول سنة خمس وستين واربعمائة في نيسابور عن عمر ناهز التسعين عاماً .

خلاصة عقيدته في الآتي :

١. قضية وجوب النظر وعدم التقليد التي اتفق عليها الاشاعرة في أنه : يجب على العاقل البالغ باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعاً ، القصد الى النظر الصحيح المفضي الى العلم بحدوث العالم والنظر في اصطلاح الموحدين ، وهو الفكر الذي يطلب به من قام به علماً أو غلبة ظن ، وفي هذا القول اشكال ، إذ يرى الآخرون أنه يكفر عوام المسلمين من أهل الايمان الذين لم يتوفر عندهم شرط معرفة علم الكلام ،

---

(١) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، لابي إسحاق الصيرفيني : ٣٦٥/١ .
(٢) طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي : ١٥٣/٥ ؛ تبيين كذب المفتري ، لابن عساكر : ص٢٧١-٢٧٦.
(٣) وفيات الاعيان ، ابن خلكان : ٢٠٨/٣ ؛ طبقات المفسرين ، السيوطي : ٦٥/١ .
(٤) شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة ، القشيري : ص٩ ؛ تبيين كذب المفتري ، لابن عساكر : ص١١١ .
(٥) الاستقامة ، أبو العباس بن احمد بن عبدالحليم الحراني ، ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط١ ، المدينة المنورة ، ١٤٠٣ هـ : ٨١/١ .
(٦) تبين كذب المفتري ، لابن عساكر : ص٢٧٣ ؛ مقدمة تفسير لطائف الإشارات ، إبراهيم البسيوني : ص٩١ ؛ مجلة تراث الإنسانية ، أبو العلا عفيفي : ٤٥٩/١ .

وأنهم لم يكن لهم نصيب منه ، فكان عند القشيري تفسير ذلك ، قال : المقصود جميع أهل التحصيل من أهل القبلة يقولون : على المقلد أن يعرف الصانع المعبود بدلائله التي نصبها على توحيده واستحقاق تفوق الربوبية [١] .

٢. قضية التعطيل والتشبيه : لم يخرج القشيري عن منهج السلف في مسألة الصفات الإلهية ، فسبحانه وتعالى (ليس كمثله شيء) [٢] ، أما موقفه من المشبهة والمعطلة فواضح في قوله : (قد وقع في تشبيه ذاته بذات المخلوقين) فوصفوه بالحد والنهاية ، والكون في المكان ، وأقبح قولاً منهم قد وصفوه بالجوارح والآلات ، فظنوا أن بصره في حدقه ، وسمعه في عضو ، وقدرته في يد ... الخ ، وقوم قاسوا حكمه على حكم عباده فقالوا : ما يكون من الخلق قبيح ، منه قبيح ، وما يكون من الخلق حسناً فمنه حسن ، وهؤلاء كلهم أصحاب التشبيه ، والحق مستحق للتنزيه دون التشبيه ، مستحق للتوحيد دون التحديد ، مستحق التحصيل دون التعطيل والتمثيـــل[٣] .

٣. أسماء الله الحسنى : ويرى أنها أسماء تعبدنا الله بها ، وفضائلها مذكورة في الكتاب والسنة ، قال النبي ﷺ : (إن لله تسعاً وتسعون اسماً من حفظها دخل الجنة)[٤] ، وفي رواية (من أحصاها دخل الجنة) ، قال القشيري : الأسماء تؤخذ توقيفاً من الكتاب والسنة والاجماع ، وما لم يرد فيها ، لم يجز ولو صح معناه [٥] .

٤. خلق أفعال العباد : قال : إن الله خالق اكساب العبد ، والعبد مكتسب لافعاله ، والدين ليس يجبر ، وقدر للعبد قدرة هي استطاعة تصلح للكسب ولا تصلح للخلق والابداع ، فلله خالق غير مكتسب ، والعبد مكتسب ليس بخالق [٦] ، وهو يرد بهذا الرأي على المعتزلة الذين يقولون : إن العبد خالق لافعاله خيرها وشرها .

٥. عصمة الأنبياء : ويذهب مذهب الاشاعرة في قولهم : يجوز على الأنبياء صدور الذين منهم بعد البعثة وهو ما يسمونه بترك الأولى ، مع عدم الإصرار ، ويستشهدون لقوله تعالى : (إلا من ظلم ، ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم) [٧] ، ويقول في هذا الشأن : (وهذا يدل على جواز الذين على الأنبياء عليهم السلام

---

(١) الشكاية ، للقشيري : ص٤٥ ؛ المواقف في علم الكلام ، الايجي مكتبة المتنبي ، القاهرة ومطبعة بولاق ، ١٣٦٦ هـ : ص٣٢ .
(٢) سورة الشورى ، آية : ١١ .
(٣) اللطائف ، للقشيري : ٣٤٥/٣ .
(٤) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل الى رسول الله ﷺ ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، رقم (٢٦٧٧) .
(٥) أسماء الله الحسنى (شرح أسماء الله الحسنى) ، القشيري ، أبو القاسم ، تحقيق : أحمد عبدالمنعم الحلواني ، ط٢ ، ١٩٨٦ م ، القاهرة : ٣٤/٨ .
(٦) اللطائف ، القشيري : ٧٨٨/١ ، ٢٨٣/٣ ؛ الرسالة القشيرية ، ط٣ : ص٣٨ ؛ نهاية الاقدام ، الشهرستاني : ص٢٥٥ ، ٢٥٦ ؛ غاية المرام ، الآمدي : ص٦٥-٦٦ ؛ الفرق بين الفرق ، البغدادي : ص٣٣٨ .
(٧) سورة النور ، آية : ١١ .

فيما لا يتعلق بتبليغ الرسالة ، بشرط ترك الإصرار ، وبين أنها عبارة عن ترك الأولى ، ولله أن يعاتبه فيه)[١].

٦. الإمامة : ويرى أن يحتاج الى وضع شروط معينة لاهميتها ، ويلخص هذه الشروط بقوله : على الامام مقدم القوم ، واستحقاق رتبة الامامة باستجماع الخصال المحمودة التي في الأمة فيه ، فمن لم تتجمع فيه متفرقات الخصال المحمودة لم يستحق منزلة الامامة ، ويقول أيضاً : (هو الذي يصح الاقتداء به ويتبع ولا يبتدع)[٢] .

---

(١) الطائف الإشارات ، القشيري ، أبو القاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١ م (المجلد الأول والثاني) : ٢٥٣/١ ، ٤٤٧ ، ٢٧/٣ ؛ الرسالة القشيرية ، مقال في تراث الإنسانية ، أبو العلا عفيفي ، المجلد الأول ، العدد السادس : ٦٦٥/٢ .

(٢) م ، ن : ٥١٠/١ ، ١٢١ ، ٦٥٢ .

المبحث الثاني

القشيري بين علم الكلام والتصوف

لا : م ق لإما لقشي م عا لكلا :

كان للإمام القشيري باعٌ طويل في علم الكلام ، وهو يجمع في عقيدته بين البعد النقدي والبعد البنائي ، ولعل هذا يدل على اصالة الفكر الكلامي عند القشيري ، وهو القائل : ولا يحجر علم الكلام إلا جاهل ركن إلى التقليد وخلا عن طريق أهل النظر ، والناس أعداء ما جهلوا [١] ، وهو في هذا يتفق مع المدارس الكلامية الكبرى ، كالمعتزلة ، والاشاعرة التي ينتمي إليها ، وكذا الماتريدية [٢] .

لقد أحتل موضوع الألوهية مساحة كبيرة في فكر القشيري وقد تقدمت الإشارة إلى كتاب التحبير ، وشرح اسماء الله الحسنى التي خصصها لموضوع الألوهية ، وقد مثل القشيري دوراً مهماً في تطوير المذهب الأشعري ، ومحاولته أثبات أن عقيدة اعلام التصوف اشعرية [٣] ، وبذل قصارى جهده في التوكيد على حقيقة التوحيد والتنزيه للألوهية خاصة ، بمنهج كلامي اصيل ، مع مالا يخفى من وجود تيارات فكرية معاصرة له ، لا تتفق مع نزعته الأشعرية ، كالمعتزلة وغيرها من الفرق

لا : لأل هية :

يبدأ القشيري خطابه في الرسالة ، القشيرية ، بالتأكيد على حقيقة التوحيد ، وهذا يعني أنه جمع إلى حد ما بين عقيدته الصوفية ، والنزعة الكلامية ، فهو يقول : أن الحق سبحانه وتعالى موجودٌ قديم ، واحدٌ ، حكيم ، قادر ، قاهر ، رحيم ، مريد ، سميع ، مجيد ، رفيع ، متكلم ، بصير ، متكبر ، قدير ، حي أحد ، باقٍ صمد .

وأنه عالم بعلم ، قادرٌ لقدرته ، مريدٌ بإرادة ، سميع بسمع بصير ببصر ، متكلم بكلام ، حي بحياة ، باقٍ ببقاء ... وله يدان هما صفتان يخلق بهما ما يشاء ، سبحانه على التخصيص وله الوجه الجميل وصفات ذاته محصنه بذاته ، لا يقال حي هو ، ولا هو أغيار له ، بل هي صفاته الأزلية ونعوته السرمدية ، وأنه أحادي الذات ليس يشبهه شيئاً من المصنوعات ولا يشبهه شيء من المخلوقات ، ليس بجسم ولا جوهر ، ولا عرض ، ولا صفاته أعراض ، ولا يتصور في الخيال ولا يقدر في العقول لا جهة ولا مكاناً ، ولا يجري عليه وقت ولا زمان ، ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان ، ولا تخص هيئة وقد ، ولا تقطعه نهاية وحد ، ولا يحله حادث ولا يحمله على الفعل باعث ، ولا يجوز عليه لون ولا كون ، ولا ينصره مدد ولا عدد ولا يخرج عن قدرته مقدور ، ولا ينفك عن حكمه مقطور ، ولا يعزب عن علمه معلوم ولا هو عن فعله كيف يضع وما يضع ملوم ، لا يقال له : أين

---

(١) شكاية أهل السنة ، للقشيري ، ص٤٧ .

(٢) المنهج الوسط عند الماتريدية ، دراسة فلسفية مقارنة ، جمال رجب ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ـ آداب المينا ، مصر ، مجلد ٢٧ ، يناير ، ١٩٩٨ ، ص٢٩ ، ٣٠٠ .

(٣) الفرق الإسلامية واصولها الايمانية ، عبد الفتاح أحمد فؤاد ، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع : ص١٤٧.

هو ، لا كيف هو ، ولا يستفتح له وجود ، فيقال متى ؟ ولا ينتهي له بقاء ، فيقال : أستوفى الأجل والزمان ، ولا يقال : لم فعل ما فعل ؟ إذ لا علة لأفعاله . [١] .

ويبرهن القشيري على حقيقة التوحيد بدليل التغالب أو التمانع المشهور عند المتكلمين الذي أخذ به الاشاعرة ، والماتريدية فيقول في قوله تعالى : (ما أتخذ الله من ولد وما كان معه من إله)[٢] ، قال : أتخاذ الأولاد لا يصح كاتخاذ الشريك ، والأمران جميعاً داخلان في حد الاستحالة ، لأن الولد أو الشريك يوجب المساواة في القدر ، والصمدية تتقدسُ عن جواز أن يكون له مثل أو جنس[٣] ، وفي قوله تعالى : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)[٤] ، يرى : أن كل أمرٍ نيط فقد انتفى عنه النظام وصحة الترتيب .

ثانيا : لتنزيه :

ويبدو اهتمام القشيري بتنزيه الأولوهية عن المشابهة والمثلية والتنجيم وغيرها ، ومما أكده تنزيه الألوهية عن المشاركة والتشبيه عن طريق تحليله للمعنى الدلالي للغة ، ولعل هذا يعود إلى تمكن من ناصيتها ، قال تعالى : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)[٥] ، وقوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) [٦] ، قال : (فالواحد حقيقً هو الذي لا قسم له ، ولا يستثنى منه [٧] .

قال ابن فورك : الواحد في وصفه عز وجل له ثلاثة معانٍ :

١. لا قسم له لذاته ، فإنه غير متبعض ، ولا متجزئ .
٢. إنه لا شبيه له ، تقول العرب : فلان واحدٌ في عصر ، أي لا نظر له .
٣. إنه لا شريك له في أفعاله ، يقال : فلان متوحد بهذا الأمر ، أي لا يشاركه فيه احد ولا يعاونه [٨] .

قال وأعلم أن من الناس من لا يفرق بين الواحد والأحد في المعنى ، ومنهم من يفرق فيقول : الواحد : أسم المفتتح العدد ، يقال : واحد ، أثنان ، ثلاث .. الخ .

والأحد : أسم لنفس ما يذكر معه من العدد ، وقيل : الأحد إنما يذكر في الإثبات في وصف الله عز وجل على وجه التخصص [٩] .

---

(١) الرسالة القشيرية : تحقيق : معروف زرين وعلي عبد الحميد ، بيروت ١٩٩٠ : ص٤٨ ، مجلة تراث الإنسانية ، أبو العلا عفيفي ٤٦٧/١ ؛ في علم الكلام ، منهج وتطبيق ، جمال رجب سيدبي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ٢٠١٢ م : ص٧٠ .
(٢) سورة المؤمنون ، آية : ٩١ .
(٣) لطائف الإشارات ، القشيري : ٥٨٦/٢ .
(٤) سورة المؤمنون ، الآيتان: ٩١-٩٢ .
(٥) سورة البقرة ، جزء من الآية : ١٦٣ .
(٦) سورة الإخلاص ، الآية : ١ .
(٧) التحبير في التذكير ، القشيري ، أبو القاسم ، تحقيق : د . إبراهيم بسيوني ، عالم الفكر ، القاهرة (د . ت) : ص١٢٣.
(٨) التعبير في التذكير ، للقشيري : ص١٢٣ .
(٩) م . ن : ص١٢٣ .

ويؤكد القشيري تنزيه الله عن المثلية والشيئية ، لأنه فاطر السماوات والأرض ، ولأنه لا مثل يضارعه ، ولا شكل يشاكله ، والكاف في (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [1] : صلة ، أي ليس مثله شيء ، ولا يقال (مثل) صلة ، ومعناه : (ليس كهو شيء) ، ويقال : معناه : (ليس له مثل) إذ لو كان له مثل لكان (كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وهو هو ، فلما قال : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ، فمعناه : ليس له مثل ، والحق لا شبيه له في ذاته ولا صفاته ولا أحكامه [2] .

وفي قوله المتقدم رد على المجسمة والمشبهة الذين وصفوا الله جل وعلا (بالحد والنهاية والكون في المكان) قال : (وأقبح قولاً منهم من وصفوه بالجوارح والآلات ، فظنوا أن بصره في حدقه وسمعة في عضو وقدرته في يد ...) [3] .

وورد كذلك على المتكلمين قولهم (بقياس الغائب على الشاهد) بقوله : (وقوم قالوا : لا ما يكون من الخلق قبيحاً فمنه قبيح ، وما يكون من الخلق حسناً فمنه حسن) ، قال : وهؤلاء كلهم أصحاب تشبيه ، والحق مستحق للتنزيه دون التشبيه ، مستحق التوحيد دون التحديد ، مستحق للتحصيل دون التعطيل والتمثيل[4] .

لقد أثبت القشيري تمكنه من علم الأصول ، ووقوله بالقياس ، ولذلك جاء رده الكلامي متوازناً بين القياس الفقهي والمعالجة الكلامية ، وكان موفقاً بين التنزيه عن المثلية والتوحيد دون تعطيـــل للذات الإلهية .

وفي قوله تعالى : (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ) [5] ، ينزه القشيري جل وعلا عن صفات المخلوقين والحوادث والعوارض ، ويرى أنه ينبغي تنتقي المقارنة بين الله القديم ، وذات المخلوقين المتصفة بالحدوث ، وهذه الآية تدل على نفي التشبيه بينه وبين خلقه ، وصفات القِدَم لله مستحقة ، وما هو من خصائص الحدثان ، وسمات الخلق يتقدس ، عن جميع ذلك ، الحق سبحانه وتعالى ولا تشبيه لذات القديم بذات المخلوقين ، وصفاته بصفاتهم ولا حكمه بحكمهم [6] .

ويتساءل القشيري بسخرية لاذعة متهمكاً بأصحاب هذه المزاعم ، قال : (إذا كان لكم مماليك لا ترضون بالمساواة بينكم وبينهم ، مع أنكم متشاكلون ، أو بقدر في وصفه ؟ أو يساويه عبيده ؟ أو يكون مملوكه شريكاً له ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[7] .

لقد أعتمد القشيري في براهينه على وجود الخالق ، في الاستشهاد بالآيات القرآنية التي تهيب بالفعل أن يتفكر في آيات الكون ، ويرقى من ذلك إلى أثبات وجود الخالق ، فيكون بذلك قد جمع بين أراء الفقهاء ، أراء المتكلمين ، والفلاسفة إلى حدٍ ما [1] .

---

(1) سورة الشورى ، جزء من الآية : ١١ .
(2) لطائف الإشارات ، القشيري : ٣٤٥/٣ .
(3) م . ن : ٣٤٥/٣ .
(4) م . ن : ٣٣٧/٣ .
(5) سورة النحل ، جزء من الآية : ١٧ .
(6) لطائف الإشارات ، للقشيري : ص٣٣٧ .
(7) م . ن : ص١٥٥-١٥٦ ؛ الإمام القشيري ، سيرته وآثاره ، ومذهبه في التصوف ، الدسوقي ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٢ : ص١٤٧ .

ففي قوله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا الله ، والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) [٢] ، قال : شهد بمعنى : علم وأخبر ، وحكم ، وبين بما أعده من البراهين وأثبته من دلائل اليقين وأوضح من الآيات ، وأبدى من البينات .. أنه لا إله إلا هو ، فهي شهادة الحق بأنه حق .. قال : وفي قوله تعالى (والملائكة) .

لا يؤيد الله شهادته بوحدانيته بشهادة الملائكة ، بل أسعدهم وأيدهم حين وفقهم بشهادته وسددهم الى معرفة وحدانيته أرشدهم ، وفي قوله تعالى : (وَأُولُو الْعِلْمِ)[٣] ، قال : وهم أولياء بين آدم ، إذا علموا جلال قدرته ، وعرفوا نعت عزمه فأكرمهم حيث قرن شهادته بشهادتهم ، فشهدوا عن شهود وتعيين لا عن ظن وتخمين)[٤] .

ثانيا : م فه م عقي لتص :

تعددت الآراء والأقوال في معنى التصوف من حيث اللغة والاشتقاق ، ومن حيث الحديث عن الجذور التاريخية للتصوف ، والذي يهمنا هنا قول بعضهم : (التصوف فلسفة حياة تهدف إلى الترقي بالنفس الإنسانية أخلاقياً) [٥] وأنه النظرية الباطنية [٦] للإسلام والسر الذي تضمنه القرآن على حد تعبير أحد المستشرفين[٧].

والتصوف تجربة مفتوحة على كل الثقافات فيتفاعل مالكها مع تاريخه ومواقفه ، وإن اختيار العزلة سبيلاً ، فلا يعني ذلك القطع نهائياً مع عالمه بقدر ما يعلن موقفه عنه ورؤيته لذاته وموقفه وفهمه لحقيقة وجوده ، وهذا يكسب هذه التجربة ثراءً وقيمة ، ويلاحظ الباحث في هذه التجربة ثراء ما تحمله من اشارات ورموز وطقوس ، عمادها تفعيل طاقات الفرد ودعوته إلى استقصاء معاني العقيدة ، وعدم التوقف على ظواهر الشريعة ، واختبار أحواله ، وتبين حقيقه علاقته بالله والعالم ، مع ما يقتضيه ذلك من تفاعل مع النصوص الدينية ، إسلامية كانت أم وافدة من موروث عرفاني قديم وثقافات سابقة أو حاضرة .

لتص عن لنقشبن :

تحدث النقشبندي عن ثلاثة مفاهيم رئيسية توقف عندها الصوفية وتوسعوا فيها وأكدوا ترابطها وتماسكها منطلقاً وغاية في التوحيد والمعرفة والمحبة .

أولاً : التوحيد :

---

(١) مذاهب الإسلاميين ، عبدالرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٥ : ص٥٣٤ ، الفرق الإسلامية واصولها الايمانية ، عبد الفتاح أحمد فؤاد ، دار الدعوة ، الإسكندرية (د . ت) : ص١٧٥ .

(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ١٨ .

(٣) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ١٨ .

(٤) لطائف الإشارات ، للقشيري : ٢٢٦/١-٢٢٧ .

(٥) مدخل الى التصوف ، أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني ، دار الثقافة ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٩١ : ص٣٧.

(٦) ويقصد بالباطنية هنا ما يقال الظاهر من المعافي ، وهو من صميم الإسلام ، ولا يقصد بها الفكر الباطني .

(٧) Trimingham , the sufi ordel in Islam , oxford ١٩٤١ p.p.١٢ .

لقد وعى القشيري ما يتخبط فيه مفهوم التوحيد في عصره من خلط واضطراب ، فعمد إلى توضيحه وتدقيقه مستعيناً باللغة من جهة ، وبأقوال عددٍ من رجال التصوف المرضي عن سيرتهم وعقيدتهم من جهة أخرى فذكر على سبيل المثال قول الجنيد : (إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد تناهت إلى الحيرة) [١] إما ادعاء امتلاك العلم الباطن فقد أسقط أصحابه في ضروب من الغلو والشذوذ ، فنأى بهم عن الشريعة والتوحيد الصحيح وأوقعهم في الحلول والاتحاد .

وحاول القشيري تأصيل التصوف في بابا الاقتداء بأهل السنة والسلف الصالح إذ يقول : (اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعدهم على أصول صحيحة في التوحيد ، صانوا بها عقائدهم من البدع ، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل ، وعرفوا ما هو حق التقدم ، وتحققوا بما هو نعت الموجود من العدم [٢] .

لقد نفى القشيري عن التصوف تهمة انحرافه عن الشريعة ، ويركز أخذه عن التوجه السني الأشعري والتزامه به ، فيما يتعلق بالصفات الالهية خاصة ، ويدفع عنه مقالات التشبيه والمماثلة التي ظهرت عند عدد من الفرق الكلامية ، مثل الحشوية والكراهية أو نفي الصفات كما تقـــــــــــول المعتزلة[٣] .

وأكد القشيري ضرورة وصل النص بالمشاهدة والمعاينة لبلوغ التوحيد الحق وأحكام أصول العقيدة ، لأن الاكتفاء بإحداهما دون الأخر قد يؤدي إلى الزيغ والضلال والحيرة والارتباك ، أما ربط : (واضح الدلائل ولائح الشواهد فموصل إلى الحقيقة)[٤] ، وأكد هذا بما نقل عن أحمد بن محمد الجريري ، وهو يقول : (من لم يقف على علم التوحيد بشاهدٍ من شواهده زلت به قدم الغرور في مهواةٍ من التلف) [٥] .

ومن هنا تبين لنا أن التوحيد الأمثل عند القشيري : هو ذلك الذي يتحقق فيه التواصل والتكامل بين الشريعة والحقيقة ، ويجمع بين الجانبين العقدي والعملي ، وهو أساس في التجربة الصوفية ، فعبره يستشعر الصوفي مدى الحضور الالهي بقائه عن نفسه وعمق انصهاره في الحضرة الألهية حين يدرك ما يسميه الجنيد بطور الشبحية ، أي لحظة يكون العبد شبحاً بين يدي الله سبحانه ، تجري عليه تصاريف تدبيره في مجاري أحكام قدرته في لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له ، وعن استجابته بحقائق وجوده [٦] وهذا الذي عده القشيـــري وغيره من الصوفية أرقى درجات التوحيد

---

(١) الرسالة القشيري ، للقشيري : ص١٩٧ .
(٢) الرسالة القشيرية ، للقشيري : ص١٣ الاستقامة ، ابن تيمية ، أبو العباس ، أحمد بن عبدالحليم الحراني ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط١ ، المدينة المنورة ، ١٤٠٣ هـ : ٩١/١ .
(٣) الملل والنحل ، الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) : ١٠٣-١١٢ .
(٤) الرسالة القشيرية ، للقشيري : ص١٣ .
(٥) م . ن : ص١٣ .
(٦) م . ن : ص١٩٧ .

ويشرعون له من قوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)[1]

ومن هذه الآية يشتق الصوفية بقصورهم للذات الالهية والنفس البشرية إذ يرون أن البشر قد برزوا في مهلة أولى في شكل ذرٍ مودع في ظهر آدم ، ولم يكن لهم وجود فعلي ممثل في جسد وروح ، وأنهم كانوا فاقدين في هذا الطور لكل اختبار وقدرة على التصرف ، فالله محركهم ومصرفهم وموحدهم ، وهم له خاضعون تابعون موحدون ، وهذه اللحظة كانت في عرفهم علامة على صفاء التوحيد والعبودية ، وهم مفهوم الفناء[*] والبقاء ، إنما يتوقون إلى استدعاء هذه اللحظة وإحيائها وإعادة تجيينها في واقعهم الذي تركبت فيه الطباع على الأنفس أو الأجساد أو الأرواح واختلطت ، ففقدت طهرها وصفاءها الأول ، ونأت عن التوحيد الأمثل ، لذا كانت دعوتهم إلى الصفاء والتسامي وتنقية الباطن من الشوائب التي قد تلحقه جراء اغراء الدنيا وآفات النفس وهو ما عبر عنه الجنيد بقوله : (أن يرجع أخر العبد إلى أدلة فيكون كما قبل أن يكـــون)[2].

أن القشيري وإن لم يتوسع في هذه المعاني بالتحليل فإن مجرد إيراده لها اعترافٌ ضمني منه بها وقبول لما ورد فيها ، وهو يحاول المراوحة بين عرضها على ما فيها من خصوصية ودقة ، وبين عرض أقوال أخرى لتوصيل كلام الصوفية وتجاربهم في سياق أشعري جَلي ، من قبيل تعريف البو شبحي للتوحيد بقوله : (غير مشبه الذات ولا منفي الصفات) [3] ، وكذلك تعريف الجنيد بقوله : (افراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحد بين أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد ، بنفي الاضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ، لقوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [4]) [5] .

والصوفية عند القشيري منفردون بتوحيد مخصوص اختزله بعبارات الجنيد ، المتقدمة وهم فيه غير مارقين عن الشريعة ، إنما ينهلون منها ويدعمون ما جاء فيها لأنهم يصدرون فيما يحكون من تجربة فعلية وعن معاينته ومعايشة لفعل التوحيد ، وهو ما يجعلهم في اعتقادهم أقرب الخلق إلى ربهم وأكثرهم معرفة له ، وتعلقاً به .

ثانيا : لمعرفة :

المعرفة ركن أساسي ورئيس وشرط ثابت لخوض التجربة الصوفية لذلك نجد حرصاً من القشيري على تأكيد ضرورة إطلاع السالك على مختلف العلوم الدينية ، الفقه والتفسير والحديث ، وغيرها لأنها عدة البدايات وخاصية النهايات ، ويقول القشير : (

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ١٧٢ .

(*) الفناء : فسر تفسيرات متعددة وجامعها في مصطلح التخلي والتحلي ، بالتخلي سلب الصفات المذمومة والتحلي اكتساب الصفات المحمودة ، ينظر : حالة الفناء في التصوف الإسلامي ، إبراهيم محمد ياسين ، دار المعارف مصر ، ١٩٩٩ : ص١٧٦ .

(2) الرسالة القشيرية ، للقشيري : ص١٩٧ .

(3) م . ن : ص١٩٧ .

(4) سورة الشورى ، آية : ١١ .

(5) الرسالة القشيرية ، للقشيري : ص١٩٧ .

يجب أن يكون العبد مجرداً عن الدنيا لا يملك شيئاً ، ويكون عالماً بما يلزمه من فرائض الحق سبحانه وتعالى توحيداً له وشريعةً عليه) [١] .

ويستند الصوفية في حديثهم عن المعرفة إلى حديث لا اصل له [٢] ، (من عرف نفسه فقد عرف ربه) وإلى حديث زعموا أنه قدسي ، مع أنه لا يعرف له سندٌ صحيح ولا ضعيف وهو : (كنت كنزاً مخيفاً فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق فبي عرفوني) [٣] ، ومهما يكن فإن ما أستند إليه الصوفية ، يؤكد قيمة المعرفة ، وأنها عن دوافع ، ويحدد عمق صلتها بالذات الالهية مصدراً وموضوعاً ، لذا يرى الصوفية في تأمل الإنسان ذاته ومحاولته سبر أغوارها لفهمها وإدراك خفاياها وطبيعة وجودها ومقاصدها سبيلاً ضرورياً لمعرفة الذات الالهية ، فمعرفة النفس بالفناء تقابلها معرفة الله بالبقاء ، ومعرفة الله بالحظوظ تقابلها معرفة الله بالحقوق وكلاهما يدفع الصوفي عن نفسه واجتيازها ويولد فيه محبة الله والرغبة في القرب فيه ونيل مرضاته بصدق التوجه إليه والخضوع لأوامره وتجنب نواهيه والقيام على تطبيق شريعته وبذلك تنقسم المعرفة عنده إلى أنواع عدة ، أهمها: (معرفة النفس البشرية ، والذات الالهية ، ومعرفة أحكام الشريعة وآدابها ، مثلما تتعد آلياتها وتتفاضل بين المعرفة العقلية والحسية والنقلية القلبية أو الكشفية ، وهي بهذا الاعتبار غير مستقرة ولا نهائية ، إذ تخضع لمبدأ التطور والترقي ، فتبدا المعرفة حسية وتنتهي ذو قبة كشفية أو لنقل ، تنطلق كسبية وتتوج هبة إلهية) .

ولا يعني هذا التعدد القطيع والانفصال ، ففروع المعرفة وآلياتها تصب في وادٍ واحد وهو التوحيد وشرط صفاته وصحته كما أسلفنا تحقق التكامل بين الشريعة والحقيقة ، وهذا يعني أن توسيع المعرفة في العب وتدعمه ، يقول القشيري : (المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ، ثم صد الله تعالى في معاملاته ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته)[٤].

فهي إذن لا تكون باطنة فحسب ، إنما تتجلى في سلوك العبد وأخلاقه .

وقد يعود هذا التركيز من القشيري على البعدين الظاهر والباطن في المعرفة الصوفية إلى محاولاته دفع التهمة والالتباس عن التصوف نتيجة إعلان بعض من انتسب إليه المكان التخلي عن الشريعة ، تحديداً الفرائض ، بحجة إدراك النهايات أو الوصول إلى طور العلاقة المباشرة والدائمة مع الذات الإلهية ضمن ما يسمى في الاصطلاح الصوفي بالحفظ والاختصاص الالهيين وهذا ما يرفضه القشيري لذا يورد كلام ذي النون المصري ليدعم موقفه ويؤكد التزام التصوف بالشريعة وتقيده بها ، بقول ذي النون : (علامة العارف ثلاثة : لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم ،ولا تحمله كثرة نعم الله عز وجل على هتك أستار محارم الله تعالى) [٥] .

---

(١) الرسالة القشيرية ، للقشيري : ص٦٤ .
(٢) سلسلة الاحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الامة ، الالباني ، ناصر الدين ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ط٢ ، دمشق ، ١٣٤٨ هـ : ٩٦/١ .
(٣) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروفة بالموضوعات الكبرى ، الملا على القاري ، تحقيق محمد الصباغ مؤسسة الرسالة ، ودار الامانة ، بيروت ١٩٧١ ، ص٢٢٣ .
(٤) الرسالة القشيرية ، للقشبري : ص٢٠٦ .
(٥) م. ن : ص٢١٠ .

والمعرفة على حد تعبير أبي سعيد الخراز ضربان ، تأتي من عين الجود وبذل المجهود [١] ، منها : (ما يكتسبه العبد بتتبع النصوص وتأمله نفسه وما يحيطه من ظواهر كونية ، وهذا متاح لجميع البشر ، ومنها يختص الله به فئةً من عباده ويمنحهم إياه ، فينفردون به عن سائر الخلق ويكون لهم علامة على الصلاح والتوفيق والكمال ، وعادةً ما يكون أعلق بمعرفة الذات الالهية ، ويعد من الأسرار المنهي عن كشفها ، إذ يصبح العبد محدثاً من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجره من تصاريف أقداره) ، وهي درجة يؤكد الصوفية تفردهم بها لتميزهم بصدق التوجه إلى الله وحبهم له ونيلهم محبته وإنعامه عليهم بمعرفته ، وهو مناط قول ذي النون المصري : (عرفت ربي بربي ، ولو لا ربي ما عرفت ربي) [٢] .

لقد جعل القشيري الالتزام بالشريعة ومعرفتها شرطاً في بداية الطريقة وأساساً لإدراك الحقيقة فتكون البداية تصفيةً وتطهراً وتصبح النهايات تتويجاً واختصاصاً ، وبهذا التصور والفهم للمعرفة يؤكد القشيري انتماءه إلى ما يسمى بالتصوف السني .

ثالثا : لمحبة :

وتعد المحبة الركن الثالث بعد التوحيد والمعرفة ، من أركان التصوف التي تتكامل في تحصيل المعرفة الالهية ، واكتمال التوحيد ، وهي أي المحبة ، تحقق للعبد عند الصوفية الصفاء وتقربه من ربه ومن هنا يقول دلف الشبلي : (سميت المحبة محبةً لأنها تمحو من القلب سوى المحبوب) [٣] وهو ما أكده أحمد بن عطاء بقوله : (إنها أغصان تغرس بالقلب فتثمر على قدر العقول) [٤] .

والمحبة عندهم تؤدي إلى المعرفة ، وتصحح التوحيد ، استناداً إلى الحديث القدسي الذي أمدده القشيري : (عن أنس بن مالك عن النبي محمد ﷺ عن جبريل عليه السلام عن ربه سبحانه وتعالى ، قال : ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً)[٥] ، فهي اذن عبودية ، وطاعة ، وفرائض ونوافل ، وملازمة ومداومة وتقرب ، يوصل إلى المحبة ، التي تؤهل صاحبها إلى التأييد والمحبة والنصرة ، والتمكين .

ويميز القشيري بين محبة العبد لله تعالى ، ومحبة الله عز وجل للعبد ، فيقول : محبة العبد لربه (حالة شريفة) [٦] قابلة للتطور ، وقد تصبح في مفهوم الصوفية نوعاً من العشق ، قد يصل إلى ما اصطلحوا على تسميته بالعشق أو الوله ، أو الفناء ، وهو ما عبر عنه سري السقطي بقوله : (ولا تصلح المحبة بين اثنين حتى بقول الواحد للآخر : يا أنا) [٧] .

---

(١) م . ن : ص٢١٠ .
(٢) م . ن : ص٢٠٦ .
(٣) الرسالة القشيرية ، للقشيري : ص٢٠٨ .
(٤) م . ن : ص٢١٣ .
(٥) م . ن : ص٢١٠ .
(٦) م . ن : ص٢١١ .
(٧) م . ن : ص٢١٤ .

ويتوقف القشيري في النوع الثاني من المحبة الصادرة عن الذات الالهية في اتجاه عبده اقتداءً بالسلف الذين عدوها (من الصفات الخبرية ، فأطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير) [١] وهذا يعين أنه عد من خاض في مثلها ممن قال على الله بغير علم ، فوقع من حيث يدري أولاً يدري في المحذور الذي نهى عن ﷺ بقوله : (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) [٢] ، وفي حديث رواه ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : (من قال في القرآن برأيه
فليتبوأ مقعده من النار) [٣] .

وهكذا حاول مرة أخرى احاطة التجربة الصوفية بالحدود السنية بإثبات الصفات الالهية من جهة وتأكيد اختلافها عن الصفات البشرية من جهة أخرى ، مؤكداً على ترسيخ البعد الاخلاقي فيها بوصل المحبة بقسم الإيثار ، والبر والصفاء والقناعة ، وذلك الذي يؤيد ويدعم تعلق العبد بالطاعات وحفظه لها ومداومته عليها ، مستشهداً بقول سهل بن عبد الله القشيري : (الحب معانقة الطاعة ، ومباينة المخالفة) [٤] وهل الطاعة إلا في التوحيد والعلم والمحبة ؟ التي لابد من اكتسابها عطاءً شرعياً لتصبح وسيلة لادراك الصفات الإلهية التي يحاول المحب معانقتها والانسجام معها وموافقتها للدليل الشرعي والعقلي ، وبالتخلص من صفاته الذميمة مخالفته لها في ما اسموه " القناعة " وبذلك حقق اللقاء بين التوحيد والمعرفة والمحبة انسجاماً مع قول الجنيد وقد سئل عن المحبة ، فقال : (دخول صفات المحبوب على البدل عن صفات المحب)[٥].

لقد أكد القشيري أن العقيدة لا تقف عند حدود العلم بها وتصديقها ، إنما تقتضي العمل بها في سلوك العبد وأخلاقه وفق مراحل محددة وخطوط ظاهرة بل ومعالم واضحة يبدو أنها كانت محل اختلاف ، أو تعارض في بعضها بين الصوفية أنفسهم ، وذلك الذي رسم الطريق الصوفي بالتنوع والتعدد وفق درجة استعداد السالك وعزمه وخصاله .

ولم يقف القشيري هذا الطابع الفردي لكن عمل التقليص من تبعاته وتأثيراته في وضع الأسس النظرية والعملية للتصوف ، وهو يقول : (يجب أن يكون العبد مجرداً عن الدنيا ... عالماً بما يلزمه من فرائض الحق سبحانه وتعالى توحيداً له ، وشريعة عليه ...) [٦] .

ويمكن من خلال هذا الكلام التعرف على أهم مقومات الطريق الصوفي عند القشيري وتتمثل في :

---

(١) م . ن : ص٢١١ .
(٢) مسند أبي داود الطيالسي ، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ) ، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر – مصر ، ط١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م : ٢٦٨/١ .
(٣) مقدمة في أصول التفسير ، ابن تيمية ، تحقيق : عدنان زرزور ، ط٢ ، دار القرآن الكريم ، الكويت ، ١٩٧٢ : ص١٠٥ ؛ اعلام الموقعين ، ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر ، مراجعة : طه عبدالرؤوف سعد ، طبع الشركة القيمة ، ١٩٦٨ م : ٥٩/١.
(٤) الرسالة القشيرية ، للقشيري : ص٢١٢ .
(٥) م . ن : ص٢١٣ .
(٦) م . ن : ص٦٤-٦٥ .

١. العزوف عن الدنيا وصرف النظر عنها بصدق توجيه الهمة الى الله ، وهذا لا يعني الانقطاع التام عن المجتمع إنما هي : العزلة بمعنى اعتزال الخصال الذميمة ، الذي ذكره الدقاق وهو يقول : (البس مع الناس ما يلبسون وتناول مما يأكلون ، وانفرد عنهم بالسر)[١] ، أما الانصراف عن الناس فلا يعدو عدم الالتفات الى ما هو دنيوي عارض أو زائل ، ليكون الاستعداد الذهني أو النفسي بعد ذلك مبنياً على الصدق ، ليصح له البناء على أصـــل صحيح[٢] .
٢. العلم بالشريعة ، لمعرفة وتصحيح التوحيد والثبات عليه ، وذلك ما يفرض على السالك لهذا المنهج التعلم ، وتحصيل علم الشريعة لمنه ادعاء اسقاط التكاليف عن بعض الغلاة
٣. الطهارة باطناً وظاهراً ، في البدن والثوب والمكان ، والتخلص من أدران النفس وآفاتها ولن يتم ذلك إلا على يد عالم عامل صادق خبير بلوازم الطريق ومشاقه.

---

(١) الرسالة القشيرية ، القشيري : ص٥٧ .
(٢) م . ن : ص٢٥٣ .

الخاتمة

١. لقد عمل القشيري على وضع الأسس النظرية والعملية للتجربة الصوفية ، فغلبت في خطابه السمة الدفاعية ، وطغى توظيفه التصورات السنية الاشعرية ، وأكدت أقواله ضرورة التمسك بالكتاب والسنة ، والاسترشاد بمقالات من حسنت سيرتهم من رجال الصوفية ، وصح عنهم الزهد ونالوا شهادات بالفرادة والتميز ، لحماية التصوف من الزيغ والعدول عن المقاصد المرسومة له في مقدمتها توحيد الالوهية.

٢. وألح القشيري على ضرورة وصل الحقيقة بالشريعة ، فكل شريعة غير مؤدية بالحقيقة فأمرها مرفوض ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فأمرها غير محصول ، فالشريعة عند القشيري حقيقة لأنها وجبت بأمره تعالى ، والحقيقة شريعة ، لأنها معرفة وجبت بأمره .

٣. وسعى القشيري الى تركيز البعد الأخلاقي في منهج التصوف ، وعمل على الارتقاء بها الى طور العلمية بالبحث في النقاط المشتركة بين أصحابها دون أن ينفي عنصر التفرد والخصوصية فيها ، وعدّ المنطق في الجميع ، والغاية واحدة ، ولذلك أكد أن التصوف قام في بدايته على مجهود العبد ومدى استعداده ومواظبته على الالتزام بالشريعة ، أما النهاية ، فذلك الذي توقف عندها ، وعدها منفتحة على احتمالات شتى ، منها الفشل والانحراف ، ومنها التوفيق والسداد

٤. والتصوف عند القشيري يرفض هيمنة النفس البشرية ويحارب التقليد الاعمى والاجوف ، ويمقت الفساد الأخلاقي والسياسي والاجتماعي ، ويشجع على التوجه الصادق على الله تعالى لأن النفس البشرية مجبولة على الشر ، وأنها عند الصوفية (أصل البلية) فهي أمارة بالسوء ، وتشوش صفاء التوحيد بنزواتها المستمرة لإشباع الغرائز الفردية الضيقة كما أنها محل المذموم من الصفات ، لذا ينبغي لسالك الطريق أن يعمل على قمعها ومخالفتها (مخالفة النفس والهوى) .

٥. عد القشيري (الفناء) سقوط الأوصاف الذميمة ، وعد (بروز الاوصاف المحمودة هو البقاء ، وهو يشرح مفهوم الفناء والبقاء ، وبذلك أخرج الصوفية من منزلقات القول بالحلول والاتحاد ، ووقاهم تهمة (البدعة والضلال) .

٦. أكد على رفض الصوفية فساد الواقع الذي يعيشونه ، ورفضهم تفشي ظاهرة التكالب على المادة ، واستشراء الانحطاط الأخلاقي ، والظلم ، والفتن ، والصراعات السياسية وضعف الايمان ، وانصراف الناس الى مجرد التقليد .

المصادر

القرآن الكريم

١. الاستقامة ، ابن تيمية ، أبو العباس ، أحمد بن عبدالحليم الحراني ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط١ ، المدينة المنورة ، ١٤٠٣ هـ .

٢. الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة (الموضوعات الكبرى) القاري : الملا علي نور الدين علي بن محمد سلطان ، دار الأمانة ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق : محمد الصباغ ، بيروت ، ١٩٧١ .

٣. أسماء الله الحسنى (شرح أسماء الله الحسنى) ، القشيري ، أبو القاسم ، تحقيق : أحمد عبدالمنعم الحلواني ، ط٢ ، ١٩٨٦ ، القاهرة .

٤. الاعلام ، الزركلي ، خير الدين ، دار العلم للملايين ، ط١٠ ، بيروت ، ١٤١٣هـ.

٥. اعلام الموقعين ، ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر ، مراجعة : طه عبدالرؤوف سعد ، طبع الشركة القيمة ، ١٩٦٨ م.

٦. الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى ، ابن باكولا ، هبة الله بن ابي نصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١ هـ.

٧. الإمام القشيري ، إمام التصوف وزين الإسلام ، عمرو أبو الفضل ، مركز أبي الحسن الاشعري للدراسات والبحوث العقدية ، ١٤٣٩ هـ ، المغرب .

٨. الإمام القشيري ، سيرته وآثاره ، ومذهبه في التصوف ، الدسوقي ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٢

٩. تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، أبو بكر ، أحمد بن علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ت)

١٠. تبيين كذب المفتري الى ما ينسب الى الامام الاشعري ، ابن عساكر ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ.

١١. التحبير في التذكير ، القشيري ، أبو القاسم ، تحقيق : د . إبراهيم بسيوني ، عالم الفكر ، القاهرة (د . ت)

١٢. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، البغدادي ، أبو بكر ، محمد بن عبدالغني ، (ت ٦٢٩ هـ) ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م .

١٣. حالة الفناء في التصوف السلامي ، إبراهيم إبراهيم محمد ياسين ، دار المعارف ، المنصورة ، مصر ، ١٩٩٩ .

١٤. دمية القصر وعصرة أهل العصر ، علي بن الحسن بن علي بن أبي الضيف ، الباخرزي ، (ت ٤٦٧ هـ) ، الناشر : دار الجليل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤ هـ- ٢٠١٠ م .

١٥. الرسالة القشيرية ، القشيري ، أبو القاسم ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ط١ .

١٦. الرسالة القشيرية ، تحقيق : عبدالحليم محمود ومحمود الشريف ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

١٧. الرسالة القشيرية ، مقال في تراث الإنسانية ، أبو العلا عفيفي ، المجلد الأول ، العدد السادس

١٨. سلسلة الاحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الامة ، الالباني ، ناصر الدين ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ط٢ ، دمشق ، ١٣٤٨ هـ .
١٩. سنن الترمذي ، سليمان بن الاشعث ، السجستاني ، تحقيق : محمد عبدالمحسن ، المطبعة السلفية بالمدينة المنورة ، د . ت .
٢٠. سير اعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق : شعيب الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط٧ ، ١٩٩٠ .
٢١. شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ابن العماد ، أبو الفلاح الحنبلي عبد الحي بن أحمد بن محمد ، المكتب التجاري ، بيروت ، د . ت .
٢٢. شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة ، القشيري ، أبي القاسم ، عبدالكريم بن هوازن (ت ٤٦٥ هـ) ، تحقيق : محمد خالد ، محمد يوسف ادريس ، دار النورين ، ٢٠١٢ م .
٢٣. الطائف الإشارات ، القشيري ، أبو القاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١ م (المجلد الأول والثاني) .
٢٤. الطائف الإشارات ، تحقيق : إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٧١ .
٢٥. طبقات الشافعية ، السبكي ، تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي ، تحقيق : محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، دار احياء الكتب العربية ن القاهرة ، ١٤١٣ هـ .
٢٦. طبقات الصوفية ، السلمي ، أبو عبدالرحمن ، تحقيق : نور الدين شريعة ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ-١٩٥٣ م .
٢٧. طبقات الفقهاء الشافعية ، ابن الصلاح ، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن ابن الصلاح ، تحقيق : محيي الدين على نجيب ، دار العشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٩٩٢ م .
٢٨. طبقات المفسرين ـ أحمد بن محمد الادفروي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ١٩٩٧ م .
٢٩. طبقات المفسرين ، السيوطي ، عبدالرحمن بن ابي بكر ، تحقيق : ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٦ هـ .
٣٠. غاية المرام في علم الكلام ، الآمدي ، تحقيق : حسن محمود عبداللطيف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧١ .
٣١. الفرق الإسلامية واصولها الايمانية ، عبد الفتاح أحمد فؤاد ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، (د . ت)
٣٢. الفرق بين الفرق ، البغدادي ، عبدالقاهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، مكتبة التراث ، ومكتبة صبيح ، القاهرة .
٣٣. في علم الكلام ، منهج وتطبيق ، جمال رجب سيدبي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ٢٠١٢ م .
٣٤. الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، عز الدين علي بن ابي بكر ، أبو الحسن ، محمد بن محمد الشيباني ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥-١٩٦٦ .

٣٥. لسان الميزان ، ابن حجر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار المعارف العثمانية ، الهند ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٨٦ .
٣٦. مدخل الى التصوف ، أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني ، دار الثقافة ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٩١ .
٣٧. مذاهب الإسلاميين ، عبدالرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٥.
٣٨. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، أبو محمد عفيف الدين عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت ٧٦٨ هـ) ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ م .
٣٩. مقدمة في أصول التفسير ، ابن تيمية ، تحقيق : عدنان زرزور ، ط٢ ، دار القرآن الكريم ، الكويت ، ١٩٧٢ .
٤٠. مقومات التجربة الصوفية عند أبي القاسم القشيري ، صابر سويسي ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، الرباط ، المملكة المغربية inof@www.mominoon.com
٤١. الملل والنحل ، الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، د . ت
٤٢. المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، تحقيق : خالد حيدر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤ هـ.
٤٣. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٣٢ هـ-١٩٦١ م .
٤٤. المنهج الوسط عند الماتريدية ، دراسة فلسفية مقارنة ، جمال رجب ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ـ آداب المينا ، مصر ، مجلد ٢٧ ، يناير ، ١٩٩٨ .
٤٥. المواقف في علم الكلام ، الايجي مكتبة المتنبي ، القاهرة ومطبعة بولاق ، ١٣٦٦ هـ.
٤٦. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي ، أبو المحاسن جمال الدين (ت ٨٧٤ هـ) ، المؤسسة المصرية للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ-١٩٦٣ م.
٤٧. نهاية الاقدام ، الشهرستاني ، حرره وصححه : الفريد جيوم ، مكتبة المتنبي ، مصر (د . ت)
٤٨. النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير الجزري ، مجد الدين أبو السعادات المباكر بن محمد ، تحقيق : طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، د . ت .
٤٩. وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس احمد بن محمد بن خلكان ، تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٦م.